عندما تُشوّه الذاكرة وتُغتال!

هلال البادي

أتذكر كما يتذكر كثيرون غيري ممن هم الآن في الثلاثينيات من أعمارهم، المساء الرمضاني الذي تتحلق فيه الأسرة، رجالا ونساء، كبارا وصغارا، أمام شاشة التلفاز، يتابعون قناة تلفازية واحدة هي تلفزيون سلطنة عمان الذي سيعرض في العاشرة أو الحادية عشرة مساء حينذاك المسلسل العربي الذي أنتجه قطاع الإنتاج الحكومي في مصر.

كنت ربما في السابعة من عمري عندما بدأت أتابع الملحمة الدرامية «ليالي الحلمية» التي كتبها الراحل أسامة أنور عكاشة وأخرجها الراحل أيضا إسماعيل عبد الحافظ.

وقتها كما أسلفت لم تكن هناك إلا قناة وحيدة هي تلفزيون سلطنة عمان مع إمكانية متابعة قنوات حكومية عربية مجاورة بحكم قدرة «الأريل» على اصطياد تلك القنوات (غير الفضائية) ولذلك كانت الخيارات محدودة ومحمودة أيضا، فالساعة الخامسة عصرا تعني متابعة عمل تاريخي مثل «تحت ظلال السيوف» للراحل عبد الله غيث مثلا، وبعد الفطور مباشرة سنتابع «سعيد وسعيدة» أو «جمعة في مهب الريح» تلك الأعمال العمانية التي كان التلفزيون ينتجها بنفسه.

أتذكر كل ذلك بشكل جيد، لأنني كنت متابعا جيدا لكل ما يعرض في شاشة التلفزيون المحلي، مثل كثيرين غيري لم يكن لديهم ترف القنوات الفضائية والتعدد الهائل الذي نعيشه في الوقت الحالي، وفي حقيقة الأمر لم تكن صحون التقاط البث الفضائي رائجة حينذاك، بل ربما لم تكن معروفة عند أحد.

وعودة إلى تلك الأيام فإنني أتذكر أنني كنت أتابع بشغف هائل المسلسل الدرامي «ليالي الحلمية» برغم أنني كنت أعد طفلا في ذلك الوقت سيفضل كغيره متابعة أعمال الكرتون التي كانت تعرض في حدود الثامنة أو التاسعة. إلا أن كثيرا من أطفال تلك المرحلة لم تكن لديهم «أوامر» تربوية تمنعهم من متابعة مسلسل للكبار أو حتى أفلام تعرض بعد الحادية عشرة مساء.

ما يعنيني هنا أنني وكغيري من أبناء ذلك الجيل عرفنا «ليالي الحلمية» وتابعنا الجزء تلو الجزء من تلك الملحمة الإبداعية التي لا أظن أن أحدا من كتاب الدراما اليوم بمقدوره أن يكتب مثلها، برغم ما قد تكون تقنيات ذلك الوقت ليست بمثل ما يملكه منتجو الدراما اليوم، لكنهم لم يستطيعوا أن يقدموا عملا أكاد أجزم بأن الجميع يجمع على أنه من روائع الأعمال التي قدمتها الشاشات العربية منذ بدء إنتاجها.

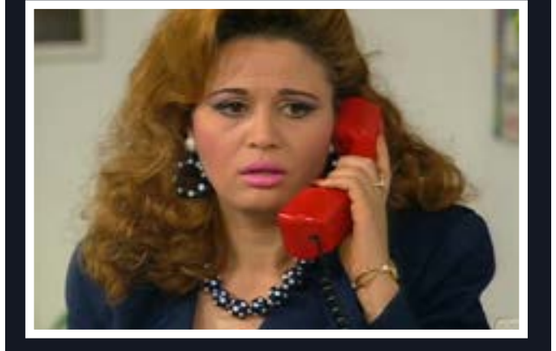

بطبيعة الحال يمكن القول إن كاتب العمل له دور بارز في هذا الحضور والبروز، فأسامة أنور عكاشة لم يكن مجرد سيناريست عابر يركب قصة درامية وكفى، بل كان مبدعا أصيلا يعرف كيف يقنعنا بشخصياته وكيف يبنيها بناء صحيحا حتى تبدو أمامنا وكأنها شخوص حية.

ربما اليوم لا أحد سيتذكر من أدوار صلاح السعدني إلا شخصيتيه: حسن النعماني في «أرابيسك» أو سليمان غانم في «ليالي الحلمية» والأمر ذاته يقاس على إلهام شاهين والراحل ممدوح عبد العليم، وشريف منير وغيرهم.

شخصيات عشقناها برغم أن بعضها كانت شخصيات ليست سوية أو مستقيمة، لكن أسامة أنور عكاشة كان يجعلنا نحبها بذكاء منقطع النظير، يضاف إلى ذلك أن تلك الأيام لم تكن سطوة النجم الأوحد حاضرة، ولا كثرة الأعمال التي ترهق الفنان فلا تجعله قادرا على التركيز في أداء ما يقدمه، بل تحيله إلى مؤدٍ لا أكثر ولا أقل.

وخلال عشرين عاما منذ آخر جزء قدم ضمن هذه الملحمة الدرامية «ليالي الحلمية» رحل عن دنيانا عدد من نجوم هذا العمل، كان آخرهم ممدوح عبد العليم، في الوقت الذي كان ورثة أسامة أنور عكاشة اتفقوا على صنع جزء سادس من «ليالي الحلمية»

جزء سادس؟

بعد عشرين عاما؟

هذا أمر ممكن بطبيعة الحال، لكن، وهنا تبدأ المشكلة،

المؤلف الذي كتب العمل رحل عن دنيانا منذ سنوات، وهو الوحيد الذي يمكن له أن يعرف كيف يجعل من وفاة ممدوح عبد العليم أو علي البدري حدثا ليس عابرا أو غير متسق مع سياق الأحداث. وحده الذي سيعرف كيف ينشئ ليالي جديدة ترتبط بالماضي وتعيش الحاضر الدرامي دون أن يستدعي شخصيات لا يمكن لها أن تتكيف مع الزمن الدرامي الذي مضى عليه عشرون عاما.

ما فعله المنتجون الجدد هو أنهم شوهوا ذاكرة ودمروها، و «ليالي الحلمية» ليست عملا يمكن أن تعود إليه لتضيف إليه هكذا بكل سذاجة كما فعل منتجو الجزء السادس.

أسامة أنور عكاشة لم يكن يضع حوارا لمجرد حشو تلك الساعة الدرامية، فكل جملة وكل مشهد يكتبه كان له معنى، ولكن له حضور، ولكن الذي تابع الجزء السادس أو التشويه الذي حدث يمكن له أن يشاهد ذلك الترهل والادعاء والسذاجة التي اصطنعها مؤلفو العمل الجديد.

ولو كان هؤلاء المنتجون والمؤلفون يفهمون بعضا من أبجديات الكتابة الدرامية لدى الراحل أسامة أنور عكاشة لانتبهوا مثلا أن نازك السلحدار كانت في عشرينيات عمرها في الجزء الأول الذي أتذكر جيدا أن أحداثه بدأت من ثلاثينيات القرن العشرين، فكيف بها في الجزء السادس الذي تشير أحداثه إلى سنوات الألفية الجديدة وبالتحديد ما بعد ٢٠٠٥م، كيف بها صبية تمشي بكل تلك الثقة وذلك الشباب الريان وهي في عمر التسعينيات؟ لا أظن أن عمليات شد الجسم ولا التجميل بإمكانها إخفاء الشيخوخة كما حدث مع هذه الشخصية!

وإذا كانت الأحداث تشير إلى سنة ٢٠٠٥م فإن الحياة التي تم تصويرها تشير إلى ما بعد سنة ٢٠١٣ من خلال طرازات السيارات المستخدمة، والملابس وحتى الهواتف.

إن أسامة أنور عكاشة لم يكن ليجعل من إبداعه الدرامي ساحة لتصفية الأعمال السياسية حتى لو كان له وجهة نظر سياسية، بل إنه كان سيهتم بالبناء الدرامي أكثر من سواه، لكن ما يمكن مطالعته في هذا الجزء هو ذلك الأفق الضيق الذي يحاول منتجو العمل إقحامه دون حتى أن يكون لديهم أي فهم لكيفية وضع رسائل سياسة ضمن سياق العمل الدرامي.

للأسف، لقد تم تشويه عمل إبداعي راسخ في أذهان وعقول وذاكرة كثيرين، من المحيط إلى الخليج، وهذا أحد أسباب الفشل الذريع الذي مني به هذا العمل.

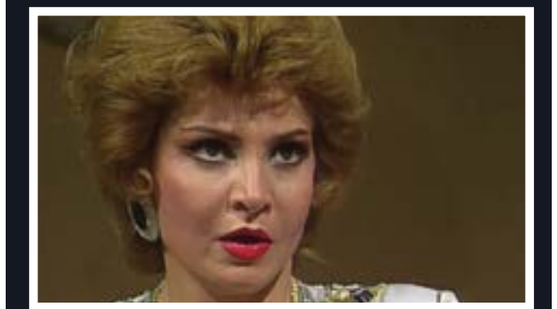

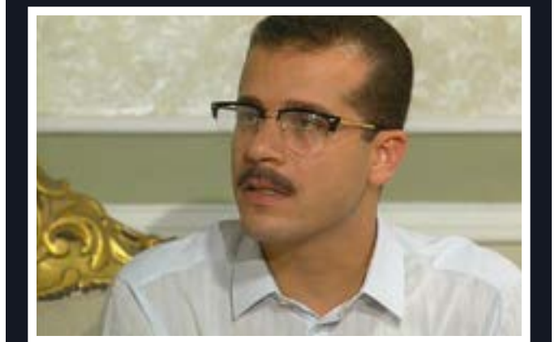

Saraya سرايا

- العناية بالبشرة
- العناية بالجسم
- العناية بالأظافر
- العناية بالشعر
- خدمات الحناء أو النقش
- المركز مزود بكافتيريا وخدمة الإنترنت المجاني

مركز سرايا الملكي للعناية بالمرأة وسبا

حيث التفرد في تقديم كل ما يتعلق بعالم العناية بالمرأة

عنواننا الطبيعة والجمال

تتوفر لدينا جميع الخدمات التجميلية الخاصة بعناية المرأة بكل احترافية.. وايضا تتوفر لدينا المستحضرات العالمية التجميلية والطبيعية

99195602 - 26981362

saraya_royal

FREE WiFi

تفضلوا بزيارتنا للتعرف على خدماتنا وعروضنا

بركاء - الصومحان جنوب - مقابل نادي الشباب الرياضي - بجانب مدرسة المياسين الخاصة

معاً لدعم المؤسسات الصغيرة والمتوسطة